مفارقات الخطاب الإسلامي المعاصر (2 من 2)

لا يمكن للمسلمين استعادة دورهم الحضاري دون التخلص من تحريف العلماء للقرآن.. وإفساد الأمراء لمؤسساته

لو طبق المسلمون قاعدة الاستعداد الرادع القرآنية لما اضطروا لتحويل الجهاد الى هذا السلوك البدائي «الانتحار»

أبو يعرب المرزوقي*

■ قبل هجرتي الطوعية إلى جنوب شرقي آسيا كنت لا أنظر إلى الأوضاع الاسلامية إلا من منطلق الوضعية العربية. لذلك فإن التشخيص قد مر عندي بمرحلتين لعل من المفيد عرضهما عرضا سريعا. فقد كنت اعتبر أوضاع المسلمين بعد الحرب العالمية الثانية وخاصة منذ ما يسمى بالاستقلالات العربية يحددها بالأساس الاستقطاب الدولي الذي قسم الأمة إلى صفين احدهما اصطف مع امريكا وكان شعاره الاسلام والليبرالية والثاني مع الاتحاد السوفييتي وكان شعاره القومية والاشتراكية.

وفي هذا الاصطفاف كان كل منهما مخربا لفعل الآخر برعاية حركة سياسية معارضة جعلت الاسلاميين في حرب على القوميين في البلاد العربية التي تحكمها أنظمة بشعارات قومية واشتراكية بزعامة مصر خاصة وبحماية سوفييتية وجعلت القوميين في حرب على الاسلاميين في البلاد التي تحكمها أنظمة بشعارات اسلامية بزعامة السعودية خاصة وبحماية أمريكية.

لنبدأ في عجالة بالحد الأقصى كميا والأدنى كيفيا حتى نفرغ لمقصود الاسئلة اعني الحد الأدنى كميا والاقصى كيفيا أو الخطاب الاسلامي الصادر عن الحركات الاسلامية. فمم يتألف هذا الخطاب؟ أليس هو خطاب مؤلف من فكرتين رئيسيتين مستحيلتي التحقيق ودالتين على الجهل بشروط العمل الحقيقي في التغيير الثقافي الحضاري والاقتصادي السياسي:

1- الفكرة الاولى يمكن عنونتها بالتنمية البشرية: يتضمن الجمع بين مطالب الديموقراطية الشعبية التي كان عليها فكر اليسار والقوميين بمطالب الديموقراطية البرجوازية التي صار عليها. واذن أليس هو فكرا أدواته مناقضة لغاياته إذ هو ينسى أن ما حققته الديموقراطية البرجوازية مما يسمونه التنمية البشرية في تقاريرهم الثلاثة التي صارت وسيلة أمريكا الأساسية للكذب على الشعوب العربية لا يمكن أن يتحقق من دون تضحيات قدمها الغرب خلال قرون الثورات العلمية الصناعية والسياسية الاجتماعية والثقافية التربوية وكررته آسيا غير الاسلامية بنفس التضحيات التي يتصور مفكرونا المتعجلون التنمية البشرية قابلة للتحقيق من دونها بل يعكسون فيتصورونها شرطا فيها.

2- والفكرة الثانية يمكن عنونتها بالثورة الثقافية: وتتضمن الجمع بين ما قبل الاسلام من حضارات الشرق العربي (مثل الفرعونية والبابلية الفنيقية والقرطاجنية والسبأية إلخ من الخرافات السخيفة) وما يتصورونه فعلا إن ليس قولا وتضمينا إن ليس تصريحا تاليا للاسلام من الحضارات الغربية ظنا أن دوره قد انتهى. ولا أحد منهم أدرك أن المحافظة على ما كان حيا في ما تقدم على الإسلام هو أولا من أهم أركان الثورة المحمدية احياء لما قتله التحريف من تجارب بشرية كادت تحصر الاديان والنبوات في بني اسرائيل فاعاد القرآن البشرية بخصوصها إلى الحقيقة التاريخية مذكرا بعموم الرسالات لكل شعوب العالم. كما أنهم لا يدرون ثانيا أن من أهم أركان الثورة المحمدية هي التحرر من كل ما يحول دون الاستئناف الدائم للحضارة حتى إن أهم نقد يوجهه للشعوب هو الاحتجاج بـ«هذا ما وجدنا عليه آباءنا».

فما يدعون إليه من ثورة ثقافية ليس إلا محاولة لقتل الثورة الثقافية الحقيقية التي هي ثورة الاسلام لتبرير تقليدهم الذليل للغرب بالعودة السخيفة للشرق أو لنكن صرحاء ليماشي ذلك أمنية دفينة في نفوس مسيحيي الشرق سواء كانوا من العرب الأصليين أو ممن استعرب من بقايا الصليبيين المتحالفين مع الغالي من فرق الاسلام (متوسلين النعرات القومية التي فتتت الامة الإسلامية) أمنية محو الاسلام من ذاكرة الشرق حتى يعود إليهم لكأنه قوسان فتحتا ويجب غلقهما إلى الابد: إذ ليس من الصدفة أن يصدق ذلك على جل زعماء الفكر العلماني والقومي المغالي في هذا الاتجاه. وخاصة من كان من المؤسسين المزعومين! وهذا أيضا تقليد سخيف لأن ما حاوله الغرب في نهضته هو ادعاء تجاوز الدور الاسلامي والعودة إلى ما تقدم عليه عند اليونان في بلاد اليونان وفي ما صار مستعمرات لها من الشرق العربي حتى يتخلص من دور الاسلام في تاريخه الوسيط دوره الذي لا يمحي: فكل فكر الغرب بعد القرون الوسطى بما في ذلك الاصلاح المسيحي لا يمكن أن يفهم إذا جردناه من هذا الدور وآثاره.

فتكون ثورتهم ليست مقصورة على تقليد الغرب من حيث علاقته بذاته فحسب بل هي تذهب إلى تقليده في محاولته محو ذاتنا من تاريخه مرتين باسطورة العبقرية اليونانية للتخلص مما تقدم على الحضارة اليونانية وبأسطورة العبقرية الاوروبية للتخلص مما توسط بينهم وبين الحضارة اليونانية كما يتبين من محاولات مؤرخي الغرب وفلاسفة التاريخ محاولاتهم التي يغلب عليها كبت هذا التأثير للتحرر من سلطان التراث الشرقي عامة والشرقي العربي الاسلامي، خاصة كما بينا في الكثير من بحوثنا لكأن اليهودية والمسيحية من الغرب. وحتى اليونان فدعوى انتسابهم إلى الغرب الحالي من الاساطير: فلا هم كذلك جغرافيا و لاهم كذلك حضاريا بدليل أن أكبر فلاسفة اليونان كان يعرف اليونان في كتاب السياسة بالمقابلة بين ذكاء الصيني الجبان وغباء الاوروبي المتهور!

تقويم التاريخ لبيان الحق

وإذن فليس تقويمنا التاريخ بهدف بيان فضل المسلمين بل لإحقاق الحق فتكون الحقيقة التاريخية حقيقة سوية وليست مجرد دعاية لتثبيت الذات الغربية: فلا يعقل أن يؤرخ المرء للبشرية ويهمل من تاريخها ثمانية قرون على الاقل كانت فيها الريادة الفكرية والحضارية في الرقعة التي يؤرخون لها بيد المسلمين. لذلك كان الدين الوحيد الذي يعترف بكل الاديان المتقدمة عليه بالزمان حتى إنه اشترط في اسلام المسلم أن يؤمن بكل الرسالات والنبوات لانه لا يمكن أن يكون الدين صحيحا إذا اعتمد على نفي التاريخ الحقيقي لتجربة البشرية الدينية السابقة.

ولنعد الآن إلى موضوعنا المقصود بالذات. فنأخذ القسم الذي يعنينا أي الحد الأدنى من خطاب المسلمين: خطاب الاسلاميين منهم. ولندرسه في مذهبيه. فكلاهما مذهب متعدد «التقازيح» لكنه قابل للرد إلى حدين متقابلين تماما كما كان الشأن دائما في الفكر الاسلامي منذ بداية الحرب الاهلية الاسلامية أو ما يسمى بالفتنة الكبرى: المذهب السني بغالبيته إلى أن صيغت نسقيا في المذهب الاشعري والماتريدي وما شابههما وأقليته إلى أن صيغت في المذهب الظاهري والحنبلي وما شابههما ثم المذهب الشيعي بغالبيته إلى أن صيغت في المذهب الاثنى عشري وما شابهه وأقليته إلى أن صيغت في المذهب الباطني وما شابهه.

ولما كان حزب الأغلبية في الحركة الشيعية المعاصرة قد وصل إلى تحقيق دولته بعد ما يسمى بثورة الخميني التي استغلت منطق أقليتها ومنطق ما يماثلها في العلمانية الايرانية (أي الحركة الشيوعية والعلمانية الفرنسية) فإنه قد تخلص منهما بعد ذلك بأن قضى على ثانيتهما ووظف أولاهما في خارج العالم الشيعي لمد سلطان الثورة فحصل الصلح بين البعدين. ولما كان حزب أغلبية الحركة السنية المعاصرة (الاخوان) لم يحقق بعد دولته رغم محاولة استغلال منطق أقليته فإنه ظل في الفعل التاريخي تابعا لاقليته المغالية أي للشكل الحنبلي من الظاهرية أو الحركة السلفية (لأسباب ظرفية أهمها أن المال يوجد مع أولئك وهؤلاء أصبحوا موظفين عندهم).

فيرجع خطاب الاسلاميين المؤثر حاليا إلى الفكر العقيم الذي يمثله رجلان هما الخميني وابن لادن. فما هو مضمون هذا الخطاب؟ وهل يمكن أن يحرر المسلمين بحيث يؤدون دورا تاريخيا مناسبا لمقتضيات العصر ومحققا لقيم الاسلام الحقيقية التي هي أكثر ثورية من كل ثورات العالم لو كان المسلمون يعلمون؟ ويمكنني أن ازعم أن نسبة ما يفهمه العرب والمسلمون اليوم من الإسلام إلى ما فيه من قيم ثورية للانسانية كلها وليس للمسلمين وحدهم هي عينها نسبة ما في أرضهم من ثروات مادية عاشوا عليها آلاف السنين وهم بها جاهلون. و لو لم يحقق الغرب ثوراته العلمية والصناعية لما أصبحت الثروات الاسلامية ذات وجود فضلا عن أن تكون مادة لوعيهم وأداة لارادتهم.

ونفس الامر يمكن أن يقال عن الثروة الرمزية التي في دينهم. فلو لم يجرب الغرب في ثوراته السياسية والاجتماعية نظائر محرفة مما أوصى به القرآن لما ادرك المسلمون معاني ما دعا إليه من ضرورة تحرير البشرية من المستبدين بالسلطان الروحي (أو الكنيسة التي عوضها عندنا استبداد العلماء لما نقلوا سلطة التشريع من منزلة فرض العين على كل مسلم إلى منزلة فرض الكفاية بالاستحواذ عليه) ومن المستبدين بالسلطان الزماني (الدولة ذات الحق الالهي التي عوضها عندنا استبداد الامراء لما نقلوا سلطة التنفيذ من منزلة فرض العين على كل مسلم إلى منزلة فرض الكفاية بالاستحواذ عليه).

لكن القرآن الكريم الذي سعى إلى تحرير البشرية من الاستبدادين حدد طبيعة سلطتي الامة الحقيقيتين:

1- سلطة التواصي بالحق في الاجتهاد الذي يطلب علوم الدين والدنيا وكان على المسلمين ابداع مؤسسات تنظمها لتكون أداة كل عمل تشريعي.

2- وسلطة التواصي بالصبر في الجهاد الذي يحقق الاستخلاف بتطبيق تلك العلوم في تنظيم حياة البشر وتمكينهم من تسخير العالم مع رعايته. وكان على المسلمين ابداع المؤسسات لتكون أداة كل عمل تنفيذي.

والمعلوم أن مجموع الاستحواذين هو اغتصاب سلطتي الامة التي نسب إليها الرسول الكريم وحدها ودون سواها العصمة في الامرين. وذلك هو شرط التحرر من الطاغوت الذي قرنت الآية 256 من البقرة الكفر به بالايمان بالله إيمانا حرا لا اكراه فيه لتبين الرشد من الغي.

لكن أصل فكر الرجلين المؤثرين في الخطاب الاسلامي عند الاسلاميين مناف تماما لهذه القيم القرآنية وليس مناسبا للعصر فضلا عن أن يكون مناسبا لاستئناف الإسلام دوره التاريخي من منظور المتعاليات التي تصلح لكل العصور. فكيف يمكن لفكر يستند إلى نظريات ابن عربي الوجودية والقيمية أن يؤسس نهضة تحرر الانسان وتحقق قيم الاسلام وهي مبنية على الجبرية والسلطة الروحية البديل من سلطة الامة: وذلك هو جوهر التناقض في الدستور الايراني بين الجمهورية التي تستمد شرعيتها من الانتخاب أو إرادة الشعب والمرجع الذي يستمد شرعيته من كنسية منافية لجوهر الاسلام؟ وكيف يمكن لفكر لم يحتفظ أصحابه من فكر المنظر (ابن تيمية) الذي ينسبونه إليه إلا وجهه السلبي قصدت مجرد سلب نظريات ابن عربي الوجودية والقيمية أن يؤسس نهضة تحرر الانسان وتحقق قيم الاسلام: وذلك هو جوهر الحل «البنلادني» الذي يستبدل سلطان الكنسية على الدولة بسلطان الدولة المسيطرة على الكنسية في ما يدعو إليه من نظام؟ فلا يكون الفرق بين بن لادن والخميني إلا بتقديم الاستبدادين وتأخيرهما: إما أن يكون استبداد «العلماء» تابعا لاستبداد «الامراء» أو العكس فيكون استبداد «الامراء» تابعا لاستبداد «العلماء». وقد وضعت النوعين بين ظفرين لأن الامير هو من أمرته الامة والعالم هو من أجمع أهل الاختصاص على علمه. فلا يكون الأول بدائيا ومستندا إلى تحويل الشعوب إلى عبيد الخوف من القوة المادية ولا يكون الثاني خرافيا ومستندا إلى تحويل الشعوب إلى عامة تابعة للتخويف بالقوة الغيبية.

وبذلك يكون خطاب فكر الاغلبية السنية التي لم تصل إلى الحكم ولم يعترف بها حركة اصلاحية ذات وجود مشروع في أي قطر وخطاب الاغلبية الشيعية التي يمثلها في إيران ما يسمى بالاصلاحيين فإنهما لا حول لهما ولا قوة وهما مضطران للبقاء عاجزين عن الفعل خوفا من أن يتهما بالتحالف مع أعداء الاسلام ممن هم خدمتهم الفعليون. فلا يكون للاصلاحيين الشيعيين وللاصلاحيين السنيين أدنى امكانية للفعل خوفا من هذه التهمة وعجزا عن الاعلان الشجاع على أنه لا يمكن استئناف التاريخ الاسلامي من دون حل المعضلتين اللتين يعاني منهما الاسلام منذ الحرب الاهلية التي بدأت منذ اليوم الأول لموت الرسول الكريم لكونها عين تحريفه.

فأما المعضلة الأولى فهي تبدو خاصة بالشيعة لكنها في الحقيقة تعم الحزبين الشيعي والسني: كيف يمكن التحرر من الاستبداد التنفيذي الذي صار بديلا من الإرادة الإلهية أعني مما صار بديلا من سلطة الأمة التنفيذية أو ولاية الفقيه فوق السلطة السياسية بديلا من سلطة الأمة؟ فهذه النظرية التي هي مبدئيا خاصة بالشيعة صارت فعليا عامة لكل المسلمين. وما تبرره الوصية في حالة الشيعة تبرره الشوكة في حالة السنة.

وأما المعضلة الثانية فهي تبدو خاصة بالسنة لكنها في الحقيقة تعم الحزبين السني والشيعي: كيف يمكن التحرر من الاستبداد التشريعي الذي صار بديلا من الشرع الالهي أعني مما صار بديلا من سلطة الامة التشريعية؟ فهذه النظرية التي هي مبدئيا خاصة بالسنة صارت فعليا عامة لكل المسلمين وما يبرره القياس الفقهي عند السنة يبرره العلم اللدني عند الشيعة.

وفي الجملة فإن أم المسائل هي كيف تستعيد الأمة الاسلامية ما أمرها الله أن تقوم به فرض عين على كل أفرادها فلا تتركه للاغتصابين التشريعي للعلماء والتنفيذي للامراء فتحقق الشروط التي تؤهلها لان تكون خير أمة. ذلك أن القرآن الكريم لم يجعلنا خير أمة بصورة مرسلة بل هو جعل شروط الخيرية في الاية 104 من آل عمران ثم أردفها بجواب الشرط في الآية 110 منها: ما يعني أننا نكون ما وصفت الآية 110 إذا حققنا ما طلبت الآية 104 من آل عمران.

مقترحات للعلاج الممكن

إذا فكر المسلم حقا فإنه لن يكون محكوما بمعايير ظرفية في تحديد منزلته التاريخية واشكالات راهنه. فاحداث الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) مثلا لا يمكن أن يكون لها حسبان في فكره من حيث هي تلك الأحداث بل من حيث ما تدل عليه من انخرام في نظام العالم. أما إذا كان دمية سياسية أو لاعبا بايديولوجية حزب حاكم أو معارض فيمكن أن يتكلم عن نوع تأثير هذا الحدث في فكر المسلمين وفي استراتيجية اصلاح شؤونهم ويهمل محددات الظرفية الفاعلة ليحصر فعل الامة في رد الفعل. مشكلة المشاكل بالنسبة إلى المسلمين هي هذا الاقتصار على الظرفي ورد الفعل. فليس ما حدث في الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) بالحدث الأهم في الظرف التاريخي الراهن لو فكرنا حقا من منطلق ما يوجبه القرآن على الامة لعلاج قضايا الحياة البشرية ورعاية الكون.

فالحدث في ذاته أمر لم قيس بغيره من الأحداث التي تجري في عالمنا لاعتبر حدثا عاديا جدا. لكن توازن العالم المنخرم يضفي عليه ما لا يستحق بالقياس إلى ما يهمله العالم من مآس أكبر حجما وأخطر على مستقبل المعمورة. فحادثة واحدة لاحدى الشركات الامريكية في الهند قبل ذلك بعقد قتلت عشرة اضعاف ما قتلت حادثة الحادي عشر من ايلول (سبتمبر). وبيع الشركات الغربية الدواء أو الغذاء المغشوش فضلا عن تجريب الأدوية الجديدة في الأفارقة قتل الملايين بقصد ومن سلط رسمية لدول تدعي القيم الإنسانية والديموقراطية. وهم على أبواب تحقيق أمر في افريقيا سبق أن حققوا مثله في أمريكا عندما أفنوا أهلها بالكحول والجدري والسلاح: الايدز والمخدرات والحروب القبلية هي البديل الجديد من الأدوات التي أفنت الهنود الحمر. وقنابل أمريكا في فيتنام قتلت الزرع والضرع فضلا عن ملايين البشر. ومع ذلك فإن ذلك كله لم يعتبر حدثا مهما ليسأل الناس عن أثره في فكرهم. فلم اعتبر الحدث مهما إذن؟ ذلك هو المشكل.

وهذا يشبه التعامل مع العدوان على أطفال الفقراء بالقياس إلى التعامل مع مجرد خدش يصيب أحد أطفال الاغنياء. وقس عليه قتل مئات الفلسطينين أو العراقيين بالمقارنة مع قتل يهودي واحد. وقس عليه قتل ملايين الغجر فعليا بالمقارنة مع ما يسمى بالمحرقة. أهمية الحدث الوحيدة بالنسبة إلى مفكر مسلم هي أنها تكشف عن أكبر أدواء البشرية الحالية. فانخرام توازن العالم وتحريف القيم يجعل قتل ملايين الافارقة من أجل مصلحة شركة دواء او ذهب أو بترول أو غاز أو أورانيوم وافناء شعوب أمور أكثر من عادية فلا يؤبه بها ولا تعتبر أحداثا فاصلة في التاريخ. أما قتل بعض المدللين في امريكا فإنه يراد له أن يكون من شواغل فكرنا الاولى بحيث لا ننظر في شؤون الصحوة والنهضة واستئناف الدور الكوني للاسلام إلا من خلاله.

إنما سبب ذلك أمران:

ففكرنا قد بات مجرد رد فعل.

ومؤسساتنا الخائرة يحكم المستبدين بها الخوف من الخوف.

لذلك فإن التهديد بالنفخ في الهواء تسيل له بطون المستبدين بالسلطتين ماء. لا يهمني ما يقوله الأمريكي أو الإسرائيلي. ما يعنيني هو تحديد شروط استئناف المسلمين دورهم الكوني لرعاية العالم تكليفا من رب العالمين ولتحرير البشرية من هذا الانخرام الذي أفسد العالم المادي بالتلويث الصناعي والتسليحي والعالم الروحي بالتلويث الثقافي.

لكن كيف يمكن أن يسهم المسلمون في تحرير البشرية من الطغيان العالمي في المجالين الروحي والمادي إذا كانوا هم أول ضحاياه بسبب ما حل بالقرآن من تحريف جعل علماء المسلمين وأمراءهم أول من يفسد كل المؤسسات التي أوصى بها؟ ماذا يعنيني رأي الامريكي أو الاسرائيلي في ما ينبغي أن يدرس أو أن يقال في خطب الجمعة إذا كان ما يدرس وما يقال ليس ضرره بالامريكان واليهود بأكبر من ضرره بالمسلمين أنفسهم؟ فليست القضية قضية نصوص تبقى أو تزال. ذلك أننا نستطيع أن نقلب التحدي فنسأل من يريد منا ذلك أن يجربه هو على نصه المقدس. ونحن على يقين أنه لو فعل لما بقي منه إلا ما اعتبره القرآن غير محرف أي القرآن نفسه الذي هو أصل كل ما بقي من حقائق فيه! أما القرآن فهو غني عن التطهير لان ما فيه ليس هو ما يلام على الناطقين باسمه: فما كان الاجتهاد يوما هو ما يصوره عليه الجهلة ممن يسمى بقادة الجهاد في فوضى حركاتهم الحالية.

ذلك أن المسلمين لو طبقوا قاعدة الاستعداد الرادع بحسب أحكام القرآن لما اضطروا لتحويل الجهاد إلى السلوك البدائي الذي هو حيلة فاقد الحيل. فكل استشهادي من المسلمين أعتبره شهادة منه بأن المسلمين فشل علماؤهم وساستهم في الاستعداد الرادع المغني عن اللجوء لهذه الحلول اليائسة التي لا يمكن أن تربح بها أمة حربا إلا بشرط أن تخسر كل شروط الحفاظ على المستقبل في المعترك الدولي القادم. فهي تشترط أن تبقى الحرب من جنس حروب القرون الوسطى. لكن العدو لن يقبل بمجاراتنا في حرب يمكن فيها للافراد أن يصلوا إليه ليفجروا أنفسهم بين شعبه. فإذا واصلت الامة مثل هذا السلوك فإن مستشهديها لن يستطيعوا تفجير أنفسهم إلا في شعوبهم فضلا عن كون ذلك سيقنع به العدو شعبه بضرورة اللجوء إلى ما عنده من الأسلحة الرادعة التي تعيد الأمة إلى القرون الوسطى: كل ما في الامر هو انتظار الحد الذي يقنع الرأي العام الغربي بأن استعمال السلاح الرادع أصبح مشروعا فيكون الفناء لاصحاب هذه الاستراتيجيات السخيفة التي لا تصلح إلا للدفاع عن قرب أي في الحروب البدائية.

ولما كان العدو ليس ملزما لا خلقيا ولا فنيا بمواصلة هذا الشكل من الحرب فإنه يمكن أن يحسمها بمجرد أن تقنع قياداته شعبه بضرورة الحسم. ولهم في غباوة قيادات هذا السلوك أفضل حليف لتحقيق القناعة. لذلك فإن مثل هذه الحلول دليل عن العجز وليست دليلا عن الشجاعة وهي اعتراف بعدم القيام بما طلب القرآن القيام به وعودة إلى حروب الجاهلية حيث يحارب الفرد الشجاع وليس الامة المنظمة التي تحارب بعقلها قبل يدها. لذلك فلا علاقة لها باستراتيجية الجهاد القرآني لانها مبنية على نفي أول مبادئه. إنها عودة إلى الحرب الجاهلية خاصة وهي مشروطة بنفي أول قانون دولي للحرب وضعه القرآن: حصر القتال بين الجيوش عندما لا يكون الاستعداد الرادع رادعا. أما إذا غاب الاستعداد الرادع فالقتال ليس قتالا جهاديا بل هو حيلة من صاحب عدم الحيلة الذي أخذ غيلة.

وليس قصد مقترحاتي الاستسلام للعدو. كلا. بل معناه ضرورة فهم منطق الحرب كما حددها الإسلام وشروط النجاح فيها حتى تحول قوة العدو إلى أداة بيدك لمحاربته بها. وتعود الشروط إلى نوعين أحدهما سالب والثاني موجب:

أ- النوع السالب من الشروط وفيه خمسة فروع:

1- الحيلولة دون حصول الاستبداد الروحي حتى لا تتحول الامة إلى عامة جاهلة لا سلطان لها على قوانين الظاهرات الطبيعية والتاريخية لأن العلم والمعرفة أصبحا فرض كفاية للمستبدين بالامر الروحي في حين أن القرآن طالبنا بجعلهما فرض عين.

2- والحيلولة دون حصول الاستبداد المادي حتى لا تتحول الامة إلى عامة عاجزة لا سلطان لها على تحقيق آثار العلم بتلك القوانين في الطبيعة والتاريخ لان العمل أصبح فرض كفاية للمستبدين بالامر الزماني في حين أن القرآن طالبنا بجعلهما فرض عين.

3- الحيلولة دون اضفاء الاستبداد الاول الشرعية على الاستبداد الثاني، اضفاء الشرعية الدينية على الدكتاتورية السياسية قبلية كانت أو عسكرية.

4- الحيلولة دون مد الاستبداد الثاني الاستبداد الأول بالقوة التي تجعله يعمل بآليات السلطان المادي من خلال تعويض الكفاءة العلمية بالولاء لمن بيدهم رزق العلماء فيزول التنافس المبدع في المعرفة.

5- وأصل كل هذه الشروط السالبة مبدأ واحد عام وضعه القرآن وطبقه الرسول منع تكون مافيات حاكمة في أي ميدان من ميادين الحياة العمرانية أعني في الذوق والرزق والنظر والعمل والوجود.

ب- النوع الموجب من الشروط وفيه خمسة فروع كذلك:

1- مؤسسة التواصي بالحق ليكون العلم ثمرة الاجتهاد الجماعي لكل أفراد الامة لانه فرض عين.

2- مؤسسة التواصي بالصبر ليكون العمل ثمرة الجهاد الجماعي لكل أفراد الامة لأنه فرض عين.

3- أثر الأول في الثاني: العمل على علم.

4- أثر الثاني في الاول: تحول العمل الى مادة للمعرفة فتكون الامة في مراقبة ذاتية دائمة.

5- والمبدأ الموحد لكل هذه الشروط هو الاستعداد الرادع أي القوة عامة والقوة العسكرية خاصة.

---

* مفكر تونسي يعمل في الجامعة العالمية الاسلامية ـ ماليزيا

إن نسبة ما يفهمه العرب والمسلمون اليوم من الإسلام وما فيه من قيم ثورية للانسانية كلها وليس للمسلمين وحدهم هي عينها نسبة ما في أرضهم من ثروات مادية عاشوا عليها آلاف السنين وهم بها جاهلون....